حروف المعاني في القرآن الكريم (نماذج مختارة)

Letters of meanings in the Holy Quran (selected models)

م. م. عبير محمد ماهر فهد الجبوري
مدرسة في معهد الفنون الجميلة للبنات
بغداد - العراق

الملخص

نسعى من خلال هذا البحث إلى اكتشاف المعاني الرئيسية والفرعية التي تؤديها بعض حروف المعاني المختلفة من خلال النص القرآني.

وستقتضي منا هذه الدراسة أن نبدأ أولا بتعريف الحرف لغة واصطلاحا، وبيان أقسام الحروف في العربية، ثم تحديد خصائص المعاني، بالإضافة إلى تبيين أنواعها. ثم نلج إلى النص القرآني كي نوجه حروف المعاني التوجيه الدلالي المناسب الذي يرتضيه السياق الواردة فيه، مستفيدين في ذلك من توجيهات العلماء من الغويين ومفسرين وفقهاء وأصوليين، والأكيد أن هذه الدراسة لن تكون إحصائية تستقصي جميع أنواع حروف المعاني التي وردت في القرآن الكريم، بل ستقتصر على الحروف الأشهر والأكثر استعمالا من كل طائفة من حروف المعاني.

الكلمات المفتاحية: حروف المعاني؛ الدلالية ؛ القرآن الكريم.

***

Abstract:

We seek through this research to discover the main and sub-meanings of the different meanings of the letters through the Qur'anic text. This study will require us first to define the letter, and to define the characteristics of the letters of the meanings in addition to specifying their types. Then we reach the Qur'anic text in order to direct the letters of meanings to the appropriate semantic guidance which is relevant to the context contained in it, taking advantage of the directives of scientists linguists, interpreters, jurists and fundamentalists. It is certain that this study will not be a statistical; study of all types of meanings given in the Holy Quran, On the most common and used letters of each of the letters.

Keywords: letters of meanings, semantics, Holy Quran.

***

أهمية البحث

إن القرآن الكريم هو كتاب العربية الأكبر، ومعجزتها البيانية الخالدة، جعله الله آخر كتبه لهداية البشر، وتحقيق مصالحهم الدينية والدنيوية، وقد كان هذا القرآن وما يزال معجزة الإسلام الخالدة، والبرهان الصادق على صدق الرسالة المحمدية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومن هنا تضافرت جهود العلماء في العناية به، والاستفادة منه، واتخذت هذه العناية أشكالا مختلفة، وصورا متعددة، تجلت في جمعه وتدوينه، وبيان محكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، وأسباب نزوله وإعرابه وشرحه، وبحث آخرون في وجوه إعجاز القرآن الكريم، فمنهم من بحث في إعجازه البياني، ومنهم من تناول إعجازه التشريعي، ومنهم من تطرق إلي إعجازه العلمي . ولكن أعلى هذه المباحث قدرا، وأعظمها شأنا، إلا أن مجال القول ما يزال ذا سعة لمن يريد أن يبحث في حقيقة دلالته النحوية و اللغوية، والوقوف على أسرار إعجازه البياني، فهذا القرآن لا تنقضي عجائبه، ولا تنفد كنوزه، ولا تفنى خزاينه، ورحم الله الإمام الباقلاني إذ يقول (فأما نهج القرآن ونظمه، وتأليفه ورصفه، فإن العقول تتيه في جهته، وتحار في بحره، وتضل في وصفه) وما أصدق قول أحمد شوقي :

جاء النبيون بالآيات فانصرمت
وجئتنا بكتاب غير منصرم
آياته كلما طال المدى جدد
يزينهن جمال العتق والقدم

ولأن الجانب البلاغي هو الوجه الأصيل في إعجاز القرآن الكريم، إذ هو الوجه الذي يلازمه في كل سورة، بل في كل آية، بل في كل حرف ،

الهدف من البحث:

لقد اخترنا دراسة حروف المعاني في هذا البحث، وذلك لأن أن استعمال حروف المعاني في اللغة العربية، ووضعها في مواضعها من الأمور الدقيقة المغزى، اللطيفة المأخذ، حيث أن للحروف دورها في إبراز المقاصد والأغراض، و إيضاح المرامي والأهداف . ومن يدرس هذه الحروف في القرآن الكريم يجد لها من المعاني اللطيفة، والأغراض السامية، والأهداف النبيلة ما لا يستطيع أن يحصيه، أو يقف على نهايته أحد من البشر، فقد استعمل القرآن هذه الحروف في أخص مواضعها، فلم توجد في موضع إلا ولها معنى طريف، ولم تحذف منه إلا وفي حذفها غرض مقصود، وهدف مراد، وقد استخدم القرآن هذه الحروف على قدر الضرورة، بدون زيادة مملة، أو نقصان مخل، ولذلك جاء كل حرف في موضعه اللائق به، بحيث لا يستغنى عنه، أو يستبدل به غيره، ولا جرم في ذلك فهو الذي ((لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)) والذي شجعنا لدراسة حروف المعاني ودلالاتها في القرآن الكريم هو أننا لم نعثر على دراسة وافية تناولت هذا الموضوع من كل جوانبه وزواياه، فكثير من الكتب القديمة التي تفردت بالبحث في حروف

المعاني، مثل كتاب (رصف المباني في شرح حروف المعاني) للمالقي، وكتاب (الجنى الداني في حروف المعاني) للمرادي وكتاب (معاني الحروف) للرماني، وغيرها من الكتب القديمة التي تفردت بالبحث في حروف المعاني إنما هي دراسة نحوية تكشف عن معاني هذه الحروف واستعمالاتها طبقا لمذاهب النحاة . أما في العصر الحديث فقد اتجهت بعض الدراسات إلى تناول حروف المعاني بما يكشف عن دقائقها، وأسرارها البلاغية، وذلك مثل كتاب (بلاغة العطف في القرآن الكريم) لعفت الشرقاوي، وكتاب (من أسرار التعبير بالحروف المشبهة بالفعل في القرآن الكريم) لهاشم محمد هاشم، وكتاب (من أسرار التعبير في القرآن الكريم) لعبد الفتاح لاشين، وكتاب (تناوب حروف الجر في لغة القرآن الكريم) لمحمد حسن عواد، وكتاب (من أسرار حروف الجر في لغة القرآن الكريم) لمحمد الأمين الخضري، وكتاب (نظرية الحروف العاملة وطبيعة استعمالها القرآني بلاغيا) لهادي عطية مطر . ومع وجود مثل هذه الدراسات إلا أن البحث في حروف المعاني، ودراستها ما يزال في حاجة إلى من يتتبع مثل هذه الدراسات، ويمعن فيها النظر، ويكشف عن أمثالها مما لم يتعرض له من تطرق إلى هذا الموضوع، وعلى الرغم من أن دراسة حروف المعاني في كل القرآن قد يكون أمرا صعبا، إلا أننا فضلنا دراستها فيه كله على اختيار جزء محدد منه، وذلك لأننا نريد الوقوف على ما في حروف المعاني من لطائف وأسرار، وما تحدثه في نسق التراكيب من إيحاءات، وما توحي به من أغراض في القرآن الكريم، فبهذه الصورة يمكننا الوقوف على المواضع المختلفة التي استخدم فيها الحرف، وما أوحى به من معاني ودلالات في هذه المواضع . ومع ذلك لم نستطع دراسة كل حروف المعاني في القرآن الكريم، وذلك لأن بحثها كلها لا يستطيع أن يفي به بحث واحد [1] .

فالحروف في اللغة العربية على أنواع:

- حروف المباني وهي حروف التهجي التي تأتي فرادى، ا، ب، ت...الخ،وكما يظهر من اسمها فليس لها معنى وإنّما هي مكوّنات ولبنات لبناء الكلمات.

-الحروف التي هي أبعاض الكلمات، كالزاي في: زيد، والياء والدال منه.

-حروف المعاني وهي أدوات أو كلمات لها معاني وضعت لها، تقترن بالاسماء والافعال لإفادة معانٍ لا يمكن التوصل إليها بدونها، وهذا النوع الثاني هو موضوع دراستنا.

نظرية البحث:

تأتي نظرية هذا البحث من اللغة، فاللغة وجه من أوجه النشاط الاجتماعي، وهي نتيجة تفاعلات متراكمة بين أفراد أي مجتمع، كما أنها اصطلاحية وضعية تنشأ من المجتمع وتتطور بتطوره كما تضمحل باضمحلاله كما يقول العلماء، فاللغة كما عرّفها ابن جنّي « أصواتٌ يعبّرُ بها كلّ قوم عن

(١) يس علي احمد ابو علامة , وابراهيم احمد الحردلو , حروف المعاني ودلالة مواضعها في القران الكريم , جامعة الخرطوم , ٢٠٠٨ .

أغراضهم»[١] وهو - في رأيي- من أفضل من عرّف اللغة بصورة مختصرة، وأبان موضوعها، فهو يشير إلى أنّ اللغة وضعت أصلاً لتؤدّي وظيفة معينة وهي «التفاهم» بين الأفراد، وأنها تختلف باختلاف الأقوام والأمصار والأحوال، ويمكن القول إنها «التعبيرُ باللسان عمّا في الجِنان».

ثم بعد ذلك ظهرت قواعد النحو والتراكيب لتقوم بدور مراقبة اللسان ولتكون سياجاً من الخطأ، لأنّ هذا الخطأ يخدش مسار الفهم ويصعّب من عملية إدراك المعاني المقصودة للمتكلمين، فالنحو «قالبٌ وإطار» واللغة هي المحتوى، فالاهتمام بهذا الأخير(اللغة) أجدر وبالتقديم أولى، فالوظيفة اللغوية أولاً ثم العمل النحوي ثانياً.

إنطلاقا من تلك النظرية، فإن الباحث يضع مجموعة فرضيات يعرضها للدراسة والفحص ليبرهن البحثُ في النهاية على ثبوت صدقها من عدمه .

فرضيات البحث:

- إنّ كلّ حرف من حروف المعاني يؤدّي وظيفة لغوية، ولذلك سميت « حروف معاني» ولكن كل حرف لايخدم نحوياً.

- أنّه يمكن اعتماد المعاني اللغوية في اقتراح تسميات لحروف المعاني والاستغناء عن التسميات النحوية.

-أنّه يمكن تقسيم حروف المعاني حسب المعاني اللغوية التى تؤدّيها.

-أنّ الوظيفة اللغوية لحروف المعاني أكبر من تأثيرها النحوي.

-أنّ الجملة العربية لا تستغني عن «الحرف» لإفادة كثير من المعاني.

تعريف الحرف:

أ- الحرف لغة الطّرف والحدّ والشفير قال في الصحاح «حرف كلّ شيءٍ طرفه وشفيره وحدّه»[٢]» والحرف من السفينة والجبل جانبُهُما والجمع أحرُف وحروف»[٣] ومن ذلك قوله تعالى «ومن النّاس مَن يعبدُ الله على حرفٍ»[٤] اي على وجه واحدٍ وهو ان يعبده على السرّاء دون الضراء.

و قال الخليل « الحرف من حروف الهجاء وكلّ كلمة عارية في الكلام لتفرقة المعاني تسمى حرفاً وان كان بناؤها بحرفين أو اكثر مثل حتى وهل وبل ولعلّ، وكل كلمة تقرأ على وجوه من القرآن تسمّى حرفاً، يقال يقرأ هذا الحرف في حرف ابن مسعود أي في قراءته، والتّحريف في القرآن تغيير الكلمة عن معناها.

وتحرّف فلانٌ عن فلان وانحرف واحرورف واحد أي: مال... والحرف الناقة الصلبة تُشبَّهُ بحرف الجبل...»[٥].

---

(١) ابن جنّي, أبو الفتح عثمان الموصلى، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط الثالثة، ط الثالثة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م, ٣٣/١

(٢) الرازى ،مختار الصحاح، ص ١٦٧.

(٣) لسان العرب،٩ / ٤٢.

(٤) الآية، الحج: ١١ .

(٥) الفراهيدى، الخليل ابن احمد، العين، تحقيق د. مهدى المخزومى ود. ابرهيم السامرائى، دار ومكتبة الهلال،

ومن هذا المعنى اللغوى تدرّج معنى الحرف فأصبح كما يقول ابن منظور»أحد حروف التهجّي أو الأداة التي تُسمّى الرّابطة لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل كعن وعلى ونحوهما»[١]

ومن العلماء من لاحظ الجانب الصوتي في تسمية الحرف فرأى ان الحرف «حدّ الشئ وحدّته من ذلك حرف الشيء انما هو حدّه وناحيته ومن هنا سميت حروف المعجم حروفا، وذلك أنّ الحرف حدّ منقطع الصوت وغايته وطرفه كحرف الجبل ونحوه، ويجوز ان تكون سميت حروفاً لأنها جهات للكلم ونواح كحروف الشيء وجهاته المحدقة به»[٢].

وفي رأيي أنّ هذا التعليل قد يصلح في حروف التهجي، ولكن لاينطبق على حروف المعاني، لأنها كلمات، ولا فرق في الصوت بينها وبين الاسماء والافعال، كما أنّ تلك الحروف تأتي - في معظم الأحوال- بين الاسم والفعل ولاترد في الأطراف الا في بعض الأحوال، ومن العلماء من عرّف الحرف بأنّه الكلمة التي ليست فيها علامات الأسماء والأفعال، فالدليل -عندهم -على حرفية الكلمة خُلوها من علامات الاسم والفعل، فجعلوا للحرف علامةً عدميةً بخلاف الاسم والفعل الذين علامتهما وجودية، قالوا «لانّه ضعيفُ الدّلالة فإنه لايدُلّ إلا مع غيره، وهما مستقلا الدلالة فعُرِّفا بالتعريف الوجودي لقوّتهما وخُصّ بالتعريف العدمي لضعفه «[٣].

ونخلص من ذلك كله إلى أنّ الحرف هو «ما دلّ على معنى في غيره ولم ينفك عن اسم أو فعل يصحبه الا في مواضع مخصوصة حذف فيها الفعل واقتصر على الحرف فجرى مجرى النائب»[٤] ومن ذلك حروف النداء في نحو: يا زيد، إذ التقدير هنا:ادعو زيدا، ومنها أحرف الإجابة كـ نعم و بلى

ومن ذلك قول الشاعر[٥]:

أفِدَ الترحُّل غير أنّ رِكابنا
لمّا تزل برحالنا وكأن قد

أى وكأن زالت لقرب وقت الارتحال.

فالحرف له معنى لكن معناه لايقوم بذاته ولايظهر جلياً إلا عند اقترانه بغيره، فعندما نقول أنّ «على» للاستعلاء فهذا معناها، لكن هذا الاستعلاء لايُتصور إلا اذا كان هناك شيء يُستعلى عليه كما تقول: الكتابُ على الطاولة، فهذا شيءٌ يستعلي على آخر، ولذلك يقول في شرح الرضي «..والحرف كلمةٌ دلّت على معنى ثابت في لفظ غيرها، فـ «غير» صفة

بدون سنة نشر.

(١) لسان العرب، ٩ / ٤١ .

(٢) بن جنى، ابو الفتح عثمان ،سرّ صناعة الاعراب، تحقيق د.حسن هنداوى، دار القلم، دمشق، الطبعة الاولى ١٩٨٥ ج ١ / ١٤ .

(٣) الكيشى، محمد بن أحمد القرشى، الإرشاد إلى علم الإعراب، تحقيق د. عبدالله البركاتى و د. محسن العميرى، نشر جامعة أم القرى، مكة المكرمة، بدون سنة طبع، ص ٧١

(٤) الزمخشرى، المفصل فى صنعة الاعراب ،(مرجع سابق) ص ٣٧٩.

(٥) النابغة الذبيانى، ديوان النابغة، مطبعة الهلال بالفجالة، مصر، ١٩١١م.(لايُعيد الباحث هذه التفاصيل في الفهرست)

للفظ، وقد يكون اللفظ الذي فيه معنى الحرف مفرداً كالمعرّف باللام والمنكّر بتنوين التنكير، وقد يكون جملة كما في: هل زيد قائمٌ، لأنّ الاستفهام معنى في الجملة، إذ قيام زيدٍ مستفهم عنه، وكذا النفي في: ما قام زيدٌ، إذ قيام زيدٍ منفيٌ، فالحرف موجد لمعناه في لفظ غيره ..»[١].

ب- اصطلاحا: يعرفه أبو القاسم الزجاجي (ت ٣٣٩هـ) بقوله: «الحرف: ما دل على معنى في غيره؛ نحو: «من إلى، ثم» وما أشبه ذلك؛ وشرحه: أن «من» تدخل في الكلام للتبعيض، فهي تدل على تبعيض غيرها، لا على تبعيض نفسها، وكذلك إذا كانت لابتداء الغاية: كانت غاية غيرها، وكذلك سائر وجوهها، وكذلك «إلى» تدل على المنتهى؛ فهي تدل على منتهى غيرها لا على منتهاها نفسها، وكذلك سائر حروف المعاني». أما الفاكهي (ت ٣٥٣هـ) فيعرفه في كتابه «شرح الحدود النحوية» بأنه: «كلمة دلت على معنى، ويدخل مع المحدود قسيماه، والقسيمان: هما الاسم والفعل، ثم خرج الفعل وبعض الأسماء بقولهم: «في غيرها»؛ أي بسبب انضمام غيرها إليها؛ من اسم ك «مرت بزيد»، أو فعل: ك «قد قام»، أو جملة، كحروف النفي والاستفهام والشرط؛ فالحرف مشروط في دلالته على معناه الذي وضع له ذكر متعلقه، وإن لم يذكر متعلقه فلا دلالة له على شيء...».[٢]

أما النحاة المحدثون فإنهم لم يضيفوا شيئا يذكر لما قاله القدامى عن الحرف؛ يقول عباس حسن: « الحرف كلمة لا تدل على معنى في نفسها، وإنما تدل على معنى في غيرها - بعد وضعها في الجملة - دلالة خالية من الزمن»،[٣] ويقول مصطفى الغلاييني: « وحرف المعني: ما كان له معنى لا يظهر إلا إذا انتضم في الجملة؛ كحروف الجر، والاستفهام، والعطف، وغيرها».[٤]

أقسام الحروف:

الحروف في اللغة العربية ثلاثة أنواع:

حروف التهجي، وهي التي يُسميها بعض العلماء الحروف المعجمية، وهى الأصل في كلّ الكلمات، إذ منها تتكون كل كلمة عربية، لكنها أصواتٌ مقطعة منفصلة غير مقترنة ولاتدل على معنى، وهي أحادية تُسرد سرداً: ا ب ت ث ...الخ.

الحروف التي هي أبعاض الكلمات، اي التي هي جزء من الكلمة كالزّاي في زيد والياء والدال فيه، وهذه أيضاً جزء من كلٍ ،ليس لها معان تدل عليه .

حروف المعاني، وهي التي تأتي مع الأسماء والأفعال لمعانٍ تدل عليها، مثل :مِن ولم وباء القسم ونحو ها وهذا النوع هو موضوع دراستنا.

---

(١) الأستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية، ٣٦/١

(٢) الفاكهي، جمال الدين بن عبد الله، شرح الحدود النحوية، ص٢٧١ .

(٣) عباس حسن، النحو الوافي، ص ٦٨ .

(٤) طه الأمين بودانة، وسليمان بن علي، حروف المعاني وتوجيهاتها الدلالية في القرآن الكريم، ٢٠١٨ .

يقول الزجاجي [١] «الحروف على ثلاثة أضرب، حروف المعجم التي هى أصل مدار الألسن عربيها وعجميها، وحروف الأسماء والأفعال، والحروف التي هي أبعاضها نحو العين من جعفر والضاد من ضرب وما أشبه ذلك»، وقد يُختصر هذا التقسم فيُقال: الحروف نوعان: حروف المباني وحروف المعاني، الأولى هي التي تتكون منها الكلمات كما يظهر من اسمها، كأنها لبناتٌ يوضع بعضها فوق بعضٍ ليقوم البيتُ عليها، أمّا الثانية فهي كلماتٌ لها معانٍ ترتبط بالأسماء والأفعال.

أقسام حروف المعاني:

وتقسم حروف المعاني من حيث كونها أدوات تربِط الكلمات مع بعضها، داخل الجملة، الى ثلاثة أقسام:[٢]

حروف تَختصُّ بالأفعال، وهي:

حروف النصب: (أنْ، لنْ، إذنْ، كي)

حروف الجزم: (لم، لَمَّا، لام الأمر، لا الناهية).

حروف الشرط: (إن، لو، إذا).

حروف المصدر: (أن، ما، كي، لو).

حروف التحضيض: (ألا، أما، هلا، لولا، لوما).

حروف الاستقبال: (السين وسوف).

حرف الردع: (كلا).

حرف التوقع: [قد]، (تحقيق قبل الماضي، وتقليل قبل المضارع).

حروف النفي: [لن، لم، لما]، وتَختصُّ بالفعل المضارع.

الحروف المختصة بالأسماء، وهي:

حروف الجر: (من، إلى، عن، على، في، الباء، اللام، عدا، خلا، حاشا، رُبَّ، مذ، منذ، حتى، الكاف، واو القسم، باء القسم، تاء القسم، كي (تَختصُّ بالدخول على الاسم الظاهر)، لولا (تختص بالدخول على الضمير).

حروف الاستثناء: (إلا، خلا، عدا، حاشا).

حروف النداء:)الهمزة، يا، آ، أي، أيا، هيا، وَ).

الحروف المشبَّهة بالفعل:)إنَّ، أنَّ، كأنَّ، لكنَّ، ليت، لعل).

حرفا المفاجأة: (إذا، إذ).

حرفا التفصيل: (أما، إما).

حروف التنبيه: (ها، أما، ألا).

حرفا النفي: (لات، إن).

الحروف المشتركة (للأسماء والأفعال) وهي:

حروف العطف: (الواو، الفاء، ثم، حتى، لكن، لا، بل، أم، أو).

حروف النفي: (ما، لا، لات، إنْ، لم، لما، لن).

حروف الجواب: (نعم، بلا، إي، أجل، جير، جلل).

حرفا الاستفهام: (هل، الهمزة).

حرفا التفسير: (أي، أن).

حرف الاستفتاح: (ألا، أما).

خصائص حروف المعاني:

تتميز الحروف بمميزات عن كل من الاسم والفعل منها:

(١) الإيضاح فى علل النحو ،ص ٥٤

(٢) فهمي قطب الدين النجار، الحروف في اللغة واقسامها. ٢٠١٥ .

- أنها مبنية كلها بخلاف الاسماء والافعال فإنّ منها المبني ومنها المعرب، قالوا «لأنّه لايعتورها ما تفتقر في دلالتها عليه إلى إعراب نحو (أخذت من الدرهم) فالتبعيض مستفاد من لفظ (من) بدون الإعراب»[١].

والأصل في بنائها أن يكون على السكون، «لأنّه أخفّ من الحركة، وما بني منها على حركة فأنما حُرّك لسكون ما قبله أو لأنّه حرف واحد فلا يمكن أن يُبتدأ به الامتحركاً»[٢].

- أنّه لا يخبر عنها ولاتكون خبرا بخلاف الاسم فإنّه يخبر عنه والفعل فإنّه يكون خبرا كما ذكرنا سابقا.

- أنه لايتألف من الحرف مع الحرف كلام ولامع الاسم وحده أومع الفعل وحده كلام[٣] بخلاف الاسم فإنه يتألف منه مع اسم آخر كلام نحو: زيد قائم ومنه مع الفعل كلام نحو: زيد يقوم، وبخلاف الفعل فإنه يتألف منه مع الاسم كلام نحو :زيد يقوم .

فإذا قلت أمِن؟(حرف مع حرف) أو أيقوم؟(حرف مع فعل وحده) أو أزيد؟(حرف مع اسم وحده) فإنّ ذلك كلّه لايسمى كلاما عند النحويين.

- أن الحروف لايجوز تصريفها ولااشتقاقها ولا تثنيتها أو جمعها[٤]

عدد الحروف واختلاف العلماء في ذلك:

أنّ كلّ عالم اجتهد وذكر ما رأى انها الحروف، فذكرها بعضهم في حدود الخمسين وجاوز بها آخرون المأئة كما ورد ما بين ذلك[٥]، وبعد تتبع واستقراء، تبين للباحث أنّ من ضمن الأسباب التي أدّت إلى الاختلاف في عدد الحروف:

- أنّ بعض العلماء يسرد كُلّ الحروف سرداً بمعنى أنّه لا يقتصر على حروف المعاني، بل يذكر الحروف سواء كانت للمعاني أو لم تكن حروف معاني.

- يذكر بعض النحاة افعالاً واسماءً ضمن الحروف ،لأنّ تلك الاسماء أو الافعال قد تكون حروفاً في أحوال نادرة أو شاذة، بينما يتركُها البعضُ الآخر ولا يعُدُّها من الحروف، انظر المالقي عندما تحدث عن(أصبح و أمسى) المعروفتان بفعليتهما فقد ذكر انهما قد تزادان للتعجب في كلام العرب (ما أصبح أبردها وما أمسى ادفأها) قال «..فيكونان اذ ذلك حرفين لأنّ الأفعال والاسماء لاتُزاد وانما تُزادُ الحروف» وفي نهاية المسألة يقول». ولكنّ ذلك شاذ لايُقاس عليه»[٦] ومع ذلك عدّ (أمسى وأصبح) من الحروف.

(١) شرح ابن عقيل، ج ١ / ٤٠.
(٢) الاصول فى النحو،ص ٢٠٧.
(٣) المرجع السابق ص ٣٨.
(٤) ا بن جنى،ابو الفتح عثمان ،سر صناعة الاعراب، تحقيق د.حسن هنداوى، دار القلم، دمشق، الطبعة الاولى ١٩٨٥م، ٢/ ٧٨١.
(٥) انظر: رصف المبانى فى شرح حروف المعانى، ص٤ . والمفصل فى صنعة الاعراب، ص٣٧٩.، ،والجنى الدانى فى حروف المعانى،الحسن بن قاسم المرادى، تحقيق د.فخر الدين قباوة والاستاذ محمد نديم فاضل ،دار الكتب العلمية، بيروت، ط أولى ١٩٩٢ص ٢٨.
(٦) رصف المبانى فى شرح حروف المعانى، ص ١٤٠.

- قد يغفل بعض العلماء عن ذكر بعض الحروف لأنها مختلف في حرفيتها فربما ترجّح عنده أنّ ذلك اسم أو فعل وليس بحرف فيضربُ عنه صفحاً لذلك كما فعل ابن جنّي في كتاب «اللُّمع « حيث أنّه لم يتعرض لضمير الفصل المرفوع أو ما يطلق عليه العماد بينما أورده آخرون.

- يذكر بعض النحاة[١] حروفاً للوقف أو للإشباع والإطلاق أو حروف العلة أو حروفاً هي جزء من الكلمة كحروف المضارعة في الفعل المضارع التي هي جزء من الفعل وليست حروفا مستقلة، فإذا اعربت:أضرب عمروا، قلت (أضرب) فعل مضارع مرفوع...الخ ولا تذكر الهمزة في أضرب على أنها حرف مستقل، بل هي أحد حروف الكلمة اي ما يطلق عليه النحاة الحروف التي هي أبعاض الكلمة.

- قد يعُدُّ بعض العلماء حرفين مركبين حرفاً واحداً نحو (انّما) المركبة من (إنّ) و (ما) الكافة فيعدّ (إنما) حرفا بينما عد (إنّ) حرفا و (ما) حرفا آخر في مكان آخر ومثل ذلك (لابل) ذكرها بعضهم[٢] على أنها حرف مع تقدم اعتبار (لا) و (بل) كلّ واحد منهما حرفا.

وغير ذلك من الأسباب التي ترجع إلى اجتهاد كلّ عالم ورأيه واسقرائه.

تلك الأسباب وغيرها أدّت إلى صعوبة الوقوف على عدد محدّد للحروف نظراً لتداخل الكلمات العربية في اسميتها وفعليتها وحرفيتها، فاستعمال الكلمة الواحدة في سياقات مختلفة قد يجعلها تتروح وتتأرجح بين أقسام الكلمة الثلاثة، وبالتالي يجعل من نسبتها إلى قسم معين بالغ الصعوبة في بعض الأحيان، ويحتاج إلى دقة نظر للوقوف على الاستعمال الصحيح أو الغالب في حال كلمة معينة.

عدد حروف المعاني:

آخذين في الاعتبار ما ذكر من تبريرات، ومن ما سبق من اقوال العلماء، يمكننا القول بأن حروف المعاني تجمع في ثمانين حرفاً هى:[٣]

الهمزة ،الالف ،الباء، التاء، السين، الفاء، الكاف، اللام ،الميم ،النون، الوأو ،الهاء ،و الياء .

ال،، أم، إنْ، أنْ، أو، أي، إي، بل،ها، عن، غن، في، قد، كي، لا، لم، لن، لو، ما، مُذ، مُن، من، هل، وا، وي، و يا.

أجل إلى إذا،إنّ أنّ إذن، ألا، أما، أيا،بجل، بلى، ثمّ، جير، خلا، رُبّ، سوف، على، ليت، منذ، نعم، هيا، عدا، لات وعلّ. إلاّ، حتّى حاشا ،ألاّ، أمّا، إمّا أيّا،، كأنّ، كلاًّ، لعلّ، لكن،، لمّا، لولا ،أيمن، لوما ،و هلاّ،ولكنّ .

التوجيهات الدلالية لبعض حروف المعاني في القرآن الكريم:

نظرا لسعة هذا الموضوع وتشعبه؛ فإننا سنقتصر على دراسة الحروف الأشهر والأكثر استعمالا من كل طائفة من حروف المعاني؛ وهي:

(١) المرجع السابق، ص ٧.
(٢) المقدمة الجزولية فى النحو ،ص ٧١.
(٣) عبد الله حسن عبد الله، حروف المعاني بين الأداء اللغوي والوظيفة النحوية، اطروحة دكتوراة، ٢٠١٠ .

١- حروف الجر: «إلى»: معناه انتهاء الغاية، يقول المبرد (ت: ٢٨٥م) في المقتضب: « وأما» إلى «فإنما هي للمنتهى؛ ألا ترى أنك تقول: «ذهبت إلى زيد»، و»سرت إلى عبد الله»، و «وكلتك إلى الله»»، والأكثر عدم دخول ما بعدها فيما قبلها فيما دلت عليه القرائن، كقوله تعالى: (ثم أتموا الصيام إلى الليل) [البقرة: ١٨٧]؛ فالليل لا يدخل في الصيام، وإن دلت القرينة على دخول ما بعدها فيما قبلها جاز ذلك، كقولنا: «صم رمضان من أوله إلى أخره»؛ فإن أخر رمضان داخل في أوله. ومن المعاني التي ذكرها النحاة ل «إلى» معنى المعية، مثل ما جاء في قوله تعالى: (من أنصاري إلى الله) [الصف: ١٤]، ويرى فاضل السامرائي أن هذا المعنى يرجع في حقيقته إلى معنى الانتهاء؛ أي: «من يضيف نصرته إيايا إلى نصرة الله تعالى، وهي بمذا قريبة المعنى من «مع»، غير أنها تختلف عنها؛ فقولنا مثلا: «من ينصرني مع خالد؟» قد يراد به من يضيف نصرته إلى نصرة خالد؛ أي: أن يتصاحبا في نصرتي، أو: «من ينصرني وينصر خالدا؟»، أما قولنا: «من ينصرني إلى خالد؟» فمعناه: «من يضيف نصرته إياي إلى نصرة خالد؟» [1]. دا وتأتي «إلى « قريبة من معنى «في «؛ كما في قول الشاعر:

فلا تتركني بالوعيد كأنني
إلى الناس مطلي به القار أجربُ

فهي لا تطابقها تماما في المعنى، بل هي قريبة منها؛ فقولنا مثلا: "هو إليهم شمس" يختلف عن قولنا: "هو فيهم شمس"؛ ففي المثال الثاني: هو بينهم كالشمس وليس فيه ما يدل أنهم معجبون به، أما المثال الأول فمعناه: أنه يبدو لهم كالشمس أي يرونه جميلا، ففيه ما يدل على إعجابهم به. وقيل: إن "إلى" تأتي بمعنى "من"؛ كقول الشاعر:

تقول وقد عاليتُ بالكور فوقها
أيسقى فلا يروى إليّ ابن أحمرا

قيل: إن المعنى هو: "فلا يروى مني"، وقيل بل هو: "فلا يروى ظمؤه إليّ "؛ أي: يبقي ظامئا إليها فلا يروى"، ومثال هذا قولنا: "هو لا يشبع من العلم"؛ أي أن العلم لا يشبع حاجته، وأنه كلما تعلم ازداد ظمأ وطلبا للعلم. أما قولنا: "هو لا يشبع إلى العلم"؛ فمعناه أنه لحفت إلى العلم متشوق إليه لا ينقطع ظمؤه إليه ولا شوقه له، فالمعنى الثاني إذن أدق وأولى في هذا المقام من المعنى الأول، ودلالة "إلى "تختلف عن دلالة "من" وإن اقتربت منها[2] .

ويلاحظ أن المعاني المذكورة لهذا الحرف كلها تدور في فلك واحد؛ وهو «انتهاء الغاية»، وعلى هذا يمكننا تقسيم معاني هذا الحرف إلى معنى رئيسي أصلي وهو انتهاء الغاية، ومعاني ثانوية وهي سائر المعاني الأخرى التي ذكرها النحاة لهذا الحرف.

«الباء»: معنى الباء الرئيسي هو الإلصاق؛ يقول سيبويه (ت: ١٨٠هظ): «وباء الجر إنما هي للإلصاق

(١) ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، ١٧/٣ .

(٢) ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، ١٨/٣ .

والاختلاط؛ وذلك قولك: «خرجت بزي، ودخلت به، وضربته بالسوط»: ألصقت ضربك إياه بالسوط. فما اتسع من هذا في الكلام فهذا أصله»[1]وقيل: لا يفارقها هذا المعنى. والإلصاق حقيقي ومجازي؛ فمن الإلصاق الحقيقي قولنا: «أمسكت بالقلم»، ومن الإلصاق الجازي قولنا: «علم به»، ومن التوسع في الإلصاق قولنا: «مررت به»؛ أي ألصقت مروري بمكان يقرب منه، كقوله تعالى: (وإذا مروا بهم تغامزون) [المطففين: ٣٠]؛ أي قريبا منهم.

ومن معانيها «الاستعانة»، نحو قوله تعالى: (واستعينوا بالصبر والصلاة) [البقرة: ٤٥]، ونحو قولنا:» أكلت الملعقة»، ومنها «المصاحبة»؛ كقوله تعالى: (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) [المائدة: ٦١]، وقوله تعالى: (قيل يا نوح اهبط بسلام منا) [هود: ٤٨]، وقيل: قد تأتي للتعدية أيضا؛ نحو قولنا: «ذهبت به»، و»خرجت به»، وهناك فرق بين تعدية الفعل بالباء وتعديته بالهمزة؛ فإذا عدي بالباء فمعناه: الأخذ والاصطحاب ؛ كقوله تعالى: (فلما ذهبوا به) [يوسف: ١٥]، وأما الإذهاب فهو الإزالة، وفي قولنا مثلا: «أدخل عمرو زيدا القسم»، جاز أن يكون قد دخل معه وجاز أنه لم يدخل معه، أما قولنا: «دخل به» فلا يحتمل إلا معنى المصاحبة؛ أي أنه دخل معه.[2]

وتكون كذلك للظرفية؛ كما في قوله تعالى: (إنك بالواد المقدس طوى) [طه: ١٢]، وقوله تعالى: (لا أقسم بهذا البلد (١) وأنت حل هذا البلد) [البلد: ١- ٢]، وتأتي بمعنى المقابلة والعوض كما في قوله تعالى: (أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالأخرة) [البقرة: ٨٦]، فكانت الأخرة قريبة منهم وفي متناول أيديهم فتركوها وأخذوا عوضها | الدنيا، ومثاله أيضا قول القائل: «بدلته بكذا» و»اشتريته بكذا»؛ فالثمن كان معه فدفعه وأخذ بدله ما اشتراه. وتأتي الباء كذلك للقسم؛ كما في قوله تعالى: (فلا أقسم بمواقع النجوم) [الواقعة: ٧٥].

ومن المعاني المختلف فيها بين النحاة؛ معنى المجاوزة ك «عن» كما في قوله تعالى: (سأل سائل بعذاب واقع) [المعارج: ١]، وقد أنكر البصريون هذا المعنى. ومنها معنى التبعيض ك»من»؛ كما في قوله تعالى: عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا) [الإنسان: ٦]، ومنها «انتهاء الغاية» ك» إلى»؛ مثل قوله تعالى: (وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن) [يوسف: ١٠٠]؛ أي: أحسن إلي، عند من يرى ذلك، ومنها كذلك «التجريد»، كقول الشاعر:

لقيت به يوم العريكة فارسا
على أدهم كالليل صبحه الفجرُ

فكأن هذه الباء تجرد مصحوبها عن غير هذه الصفة، مثبتة له إياها كأنه منطبع ومنجبل عليها؛ أي ليست له صفة سوى الفروسية، وهذا المعنى يرجع في حقيقته إلى الإلصاق؛ فإن قولنا مثلا: «رأيت بخالد أسدا» معناه: حل به أسد وامتزج بشخصه

(١) سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه، ٢١٧/٤ .
(٢) ينظر: الزمخشري ابو القاسم محمود بن عمرو، تفسير الكشاف، ٣٨٨/١ .

حتى صرنا لا نكاد نفرق بينهما؛ فهما كيان واحد.[1]

وما قلناه عن معنى التجريد ينسحب على جميع المعاني الفرعية الأخرى التي ذكرها النحاة للباء؛ فإنما جميعها منحدرة من معنى رئيسي أصلي هو: الإلصاق والاختلاط، فهي إذن معان ثانوية متفرعة عن المعنى الأصلي للباء .

«على»: تفيد الاستعلاء حقيقة؛ كقوله تعالى: (الرحمن على العرش استوى) [طه: ٥]، وقوله تعالى: (الرجال قوّامون على النساء) [النساء: ٣]؛ أي: يتولون أمرهم، وهذا فيه معنى الاستعلاء؛ فالعرب تقول: «قام عليه» أي: تولى أمره. وذكر لها النحاة معان أخرى؛ منها: المصاحبة كقوله تعالى: (وأتى المال على حبه) [البقرة: ١٧٧]، وقوله تعالى: (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا) [الإنسان: ٨]؛ أي مع حبه للمال وحبهم للطعام، والحقيقة أن «على» هنا قريبة المعنى من «مع»، ولكن ليست بمعناها تماما؛ لأن قوله تعالى: و على حبه يفيد أنه مستعل على حبه؛ أي أنه يترفع عن حب المال مخافة الله عز وجل وطلبا لرضوانه، كما أنه يتضمن معنى المشقة والمكابدة التي هي من معاني الاستعلاء؛ لأنه يؤتي المال وحب المال مستوطن في قلبه، وبالتالي فإن «على» في هذه الآية أقرب إلى معنى الاستعلاء منها إلى معنى المصاحبة. ومن معانيها المجاوزة ك «عن»؛ نحو قول الشاعر:

إذا رضيت علي بنو قشير
لعمر الله أعجبني رضاها

ومن معانيها كذلك: التعليل كاللام، نحو قوله تعالى: (كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم) [الحج: ٣٧]؛ أي: لهدايته لكم. وتأتي بمعنى الاستدراك والإضراب؛ نحو قول الشاعر:

على أن قرب الدار ليس بنافع
إذا كان من تهواه ليس بذي ودّ

وتأتي أيضا بمعنى «فوق» إذا دخلت عليها «من»؛ كقولنا: «سقط من على السطح».

«اللام»: ومعناها الاختصاص، إما بالملكية؛ نحو قوله تعالى: (لله ما في السماوات وما في الأرض) [البقرة: ٢٨٤]، أو بشبه الملك، نحو قولنا: «الغلاف للكتاب»، «الباب للدار»؛ لأن الكتاب والدار لا يملكان. وتفيد كذلك معنى التمليك؛ نحو قولنا: «وهب الله لي مالا»، وشبه التمليك نحو قوله تعالى: (فهب لي من لدنك وليا) [مريم: ٥]؛ لأن الولي وهو الولد لا يملك حقيقة. ويذكر النحاة لها معان فرعية أخرى؛ هي: - الابتداء ك«من»؛ نحو قولنا: «سمع له صراخا»؛ أي: منه. - التبليغ؛ نحو قولنا: «قلت له»، «أذنت له»...الخ - التعليل؛ نحو قوله تعالى: (إنما نطعمكم لوجه الله) [الإنسان: ٩]. - تأتي بمعنى «على»؛ نحو قوله تعالى: (بأن ربك أوحى لها) [الزلزلة: ٥] - الصيرورة وتسمى لام العاقبة والمال؛ نحو قوله تعالى: (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) [القصص: ٨]؛ فهم لم يلتقطوه لذلك، وإنما أل الأمر إلى ذلك بتقدير الحكيم العليم سبحانه وتعالى.

(١) ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، ٢٧/٣ .

ومن خلال ما قدمناه من المعاني التي تفيدها اللام، نلاحظ أن جلها يرجع في حقيقته إلى المعنى الرئيسي والأصلي؛ ألا وهو الاختصاص.

«مـن»: المعنى الأصـلي والرئيسي لـ «مـن» هو الابتداء عموما، سواء كان الحدث ممتدا أم لا، نحو: «أخذت الكتاب من المكتبة»؛ فالمكتبة هي مبتدأ الأخـذ، وهـو ليس حدثا ممتدا، ونحو قوله تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) [الإسراء: ١]، في «من» هنا لابتداء الغاية [١] لأن الحدث وهو الإسراء امتد من المسجد الـحـرام وانـتـهـى بـالـمسـجـد الأقـصـى، فالمسجد الأقصى هو الغاية. ومنع سيبويه (ت: ١٨٠م) وبعض البصريين مجيئها لابتداء غاية الزمان؛ فلا يقال: "سافرت من يوم الجمعة"، وأجاز ذلك الكوفيون وجماعة من النحاة، وهو الذي نرجحه لاعتضاده بأدلة السماع؛ كقوله تعالى: (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه) [التوبة: ١٠٨]، وقول أنس بن مالك - رضي الله عنه -: { فمطرنا من الجمعة إلى الجمعة }[٢]. ومن معاني "من" الغاية وهي غير الابتداء؛ يقول سيبويه: وتقول: "رأيته من ذلك الموضع"، فجعلته غاية رؤيتك، كما جعلته غاية حيث أردت الابتداء والمنتهى[٣]، ومن معاني "من" التبعيض؛ نحو قوله تعالى: (ومن الناس من يعبد الله على حرف) [الحج: ١١]، وهـذا المعنى يرجع في حقيقته إلى الابتداء؛ يقول ابن يعيش (ت: ٦٤٣هـ):« فإذا قلت: "أخذت من الدراهم درهما"، فإنك ابتدأت بالدرهم ولم تنته إلى أخر الدراهم؛ فالدرهم ابتداء الأخذ إلى أن لا يبقى منه شيء، ففي كل تبعيض معنى الابـتـداء[٤]، ومن معانيها: بيان الجنس؛ كقولنا مثلا: "عندي خاتم من ذهب"، ومن معانيها البدل كما في قوله تعالى: و أرضيتم بالحياة الأنبيا من الأخرة [التوبة: ٣٨]، وقوله تعالى: (قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن) [الأنبياء: ٤٢]؛ أي: بدل الرحمن، وأنكر بعضهم مجيئها للبدل، وقالوا: التقدير في الآية الأولى: "بدلا منها"، فالمفيد للبدلية متعلقها المـحـذوف، أما هي فللابتداء. واحتكاما إلى القواعد الأصولية للنحو العربي؛ فإننا نرجح كوفا تفيد معنى البدلية بذاتها، دون حاجة إلى تقدير؛ لأن ما لا يفتقر إلى تقدير أولى مما يفتقر إلى تقدير، والكلام إذا أمكن حمله على ظاهره فلا يجوز العدول عنه، وكلام الله عز وجل أولى أن يحمل على ظـاهره، إذا لـم تكن هـنـاك قرينة تصرفه عن هذا الظاهر.

٢- حروف العطف: سنقتصر في دراستنا لحروف العطف على الأحـرف الثلاثة: «الـواو، والفاء، وثم»، والتي تعتبر رئيسية في بابها، ولكوفا تعد الأكثر ورودا في القرأن الكريم:

(١) ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، ٢٧/٣ .
(٢) ينظر: مالك بن أنس الأصبحي، الموطأ، ٢٦٦/٢ .
(٣) ينظر: سيبويه، كتاب سيبويه، ٢٥٥/٤ .
(٤) ينظر: ابن يعيش ابو البقاء موفق الدين الموصلي، شرح المفصل، ٤٦١/٤ .

«الواو»: تفيد مطلق الجمع؛ فإن قلنا مثلا: «حضر زيد وعمرو»؛ فإنه يجوز أن يكون زيد حضر قبل عمرو، كما يجوز أن يكون عمرو حضر قبل زيد، ويجوز أنهما حضرا معا، يقول سيبويه (ت: ١٨٠هـ): « وليس في هذا دليل على أنه بدأ بشيء قبل شيء، ولا بشيء مع شيء؛ لأنه يجوز أن تقول: «مررت بزيد وعمرو» والمبدوء به في المرور عمرو، ويجوز أن يكون زيدة، ويجوز أن يكون المرور وقع عليهما في حالة واحدة؛ فالواو يجمع هذه الأشياء على هذه المعاني». فالواو إذن لمطلق الجمع ولا تفيد الترتيب، بل إنما قد تأتي للترتيب، وهذا لا يعني أنها تجمع بين متعاطفين بلا مناسبة ولا رابط منطقي بينهما، بل لا بد من علاقة منطقية تجمع بينهما لاسيما في عطف الجمل، فلا يصح أن يقال مثلا: «جاء زيد وفيل»، و» «مررت خالد وصخرة».

كما أنه يؤتي بالواو للدلالة على التأكيد والاهتمام، سواء كانت هذه الواو واو الحال أو غيرها، نحو قوله تعالى: (وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم) [الحجر: ٤]، فالقياس يقتضي أن لا تتوسط الواو بين الصفة والموصوف؛ كما في قوله تعالى: (وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون) [الشعراء: ٢٠٨]، وإنما توسطت الواو هنا لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف؛ كما يقال في الحال: «جاء زيد عليه ثوب»، و «جاء زيد وعليه ثوب»، والسياق يقتضي هذا التأكيد؛ أي تأكيد حصول العلم بأجل إهلاك القرية وكتابته في اللوح المحفوظ، وأن أي أمة من الأمم لها أجل معلوم مقدر في العلم الأزلي، ومكتوب في اللوح المحفوظ، لا تستأخر عنه ساعة ولا تستقدم، بدليل قوله تعالى بعد هذه الآية مباشرة: (ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون) [الحجر: ٥]، بخلاف أية الشعراء، فإن السياق الذي وردت فيه لا يقتضي إفادة هذا المعنى السالف ذكره، فلا حاجة فيه للواو المؤكدة؛ حيث يقول جل شأنه: (أفرأيت إن متعناهم سنين (٢٠٥) ثم جاءهم ما كانوا يوعدون (٢٠٦) ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون (٢٠٧) وما أهلكنا من قرية إلا بلها منذرون (٢٠٨) ذكرى وما كنا ظالمين) [الشعراء: ٢٠٥- ٢٠٩]. وقد يكوتي بالواو لقصد الدلالة على المغايرة؛ وذلك إذا كان طرحها يؤدي إلى أن يكون الثاني مفرا للأول؛ ومثال ذلك قوله تعالى: (وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) [البقرة: ٤٩]، وقوله تعالى: (وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) [إبراهيم: ٦]، فحذف الواو في الآية الأولى دل على أن التذبيح هو سوء العذاب، والواو في الآية الثانية جعلت التذبيح غير سوء العذاب فأفادت المغايرة وتعداد المحن؛ وسر هذا الاختلاف في التعبير أن الآية الأولى من كلامه سبحانه وتعالى لهم، فلم يعدد عليهم المحن تكريما في الخطاب[1] فقد جاءت الآية في سياق

(١) ينظر: الخطيب الأسكافي أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني، درة التنزيل وغرة التأويل، ٢٣٠/١ .

الامتنان على بني إسرائيل بالنعم التي خصهم بما سبحانه وتعالى من بين سائر الناس، قال تعالى: (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين على العالمين (٤٧) واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون (٤٨) وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم (٤٩) و إذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا أل فرعون وأنتم تنضرون (٥٠) وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون (٥١) ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون (٥٢) وإذ أتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون (٥٣) و إذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم أنه هو التواب الرحيم (٥٤) وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون (٥٥) ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون (٥٦) وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) [البقرة: ٤٧- ٥٧]، وهذا السياق لا يناسبه تعداد المحن بخلاف سياق الآية الأخرى.

وقد يؤتى بالواو للتنصيص على جمع حكمين؛ وذلك إذا كان طرحها يؤدي إلى الإضراب على الحكم الأول، كقول القائل مثلا: «قابلت زيدا وعمرا»، فإن هذه الواو دلت على أنه قابلهما جميعا، فإن طرحت الواو دل ذلك على أنه قابل عمرا، وأضرب عن الحكم السابق؛ أي نفى مقابلته لزيد، وقد يؤتى بالواو أيضا للدلالة على الاستمرار والتكثير، ويكون ذلك في الأفعال خاصة، نحو قولنا: «أخذ يدور ويدور ويدور»؛ أي يكثر من ذلك وهو مستمر عليه.

«الفاء»: تفيد الترتيب والتعقيب، فإذا قلنا مثلا: «جاء زيد فعمرو»؛ فالمعنى أن مجيء زيد قبل مجيء عمرو، وقد لا تفيد الترتيب، بل قد تكون لعطف مفصل على محمل، وهو ما يسميه النحاة «الترتيب الأكري»، نحو قوله تعالى: (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة) [النساء: ١٥٣]، فقوله تعالى: (أرنا الله جهرة) تفصيل للسؤال الحمل الذي سأله بنو إسرائيل لموسى عليه الصلاة والسلام. وأما التعقيب؛ فمعناه أن المعطوف يكون بعد المعطوف عليه بغير مهلة، أو بعده بمدة قريبة؛ يقول سيبويه (ت: ١٨٠م): «والفاء: تضم الشيء إلى الشيء كما فعلت الواو، غير أنها تجعل ذلك متسقة بعضه في إثر بعض؛ وذلك قولك: «مررت بعمر فزي فخالي»، و«سقط المطر بمكان كذا وكذا فمكان كذا وكذا»[1] والتعقيب أمر نسبي؛ حيث إن تعقيب كل شيء يكون بحسب هذا الشيء، يقول ابن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١هـ): «ألا ترى أنه قال: «تزوج فلان فولد له»، إذا لم يكن بينهما إلا مدة الحمل وإن كانت متطاولة، و«دخلت البصرة بغداد»، إذا

(١) سيبويه، كتاب سيبويه، ٢١٧/٤ .

لم تقم في البصرة ولا بين البلدين»[١] ومن ذلك قوله تعالى: (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضر إ الله لطيف خبير) [الحج: ٦٣]. وقد يوتى بالفاء للدلالة على السبب؛ كقوله تعالى: (فوكزه موسى فقضى عليه) [القصص: ١٥]، وفي مقام السببية لا يصح الإتيان ب»ثم»؛ لأنها لا تفيد الدلالة على السبب، ولهذا يوتي بالفاء في هذا المقام وإن كان ثمة تراخ، والفاء العاطفة غالبا ما تفيد السبب، خصوصا في الجمل الفعلية؛ كقوله تعالى: (فوكزه موسى فقضى عليه) [القصص: ١٥]، وقوله تعالى: (ثم إنكم أيها الضالون المكذبون (٥١) لأكلون من شجر من زقوم (٥٢) فمالؤن منها البطون (٥٣) فشاربون عليه من الحميم (٥٤) فشاربون شرب الهيم) [الواقعة: ٥١- ٥٥]، وقد تأتي لمجرد الترتيب دون أن تفيد السبب؛ كقوله تعالى: (فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين) (٢٦) فقربه اليهم قال الا تأكلون) [الذاريات: .[٢٧ -٢٦

«ثم»: حرف عطف يفيد ثلاثة أمور: التشريك في الحكم والترتيب والتراخي، ومعنى التراخي: المهلة، وليس المقصود المهلة الزمنية فقط، بل عموم البعد والتباين، سواء كان ذلك في الزمان أم في الصفات أم في غيرها؛ ذلك أن هذه اللفظة تفيد البعد عموما؛ فإذا قلنا مثلا: «أقبل زيد ثم عمرو»، اقتضى ذلك ثلاثة أمور: اشتراك كل من زيد وعمرو في الحكم وهو الإقبال، والترتيب: أي أن زيدا أقبل قبل عمرو؛ فأقبل زيد أولا وبعده بمهلة أقبل عمرو. وتفيد أيضا معنى التراخي الرتبي، كما في قوله تعالى: (خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنا تصرفون) [الزمر: ٦]؛ فإن خلق الزوج ليس بعد خلقهم من نفس واحدة، فمعلوم أن الآية الأولى وهي خلق الناس من نفس واحدة قد جعلها الله عز وجل عادة مستمرة في ذرية آدم - عليه السلام- بخلاف الآية الثانية؛ فإنما لم تمر بها العادة، فلم تخلق أنثى من قصيرى رجل غير حواء - عليها السلام-، ولأجل ذلك عطفت على الآية الأولى ب»ثم»، للدلالة على مباينتها لها فضلا وتراخيها عنها في كونها أجلب لعجب السامع؛ فقد أفادت «ثم» هنا تراخيا في الحال والمنزلة، لا تراخيا في الوجود والزمن[٢] . ومن ذلك قول الشاعر:

إن من ساد ثم ساد أبوه
ثم قد ساد قبل ذلك جده

فسيادة الأب والجد ليست متأخرة في الزمن عن سيادة الابن، وإنما تراخت عنها في الحال والمنزلة؛ فسيادتهما أفضل في المكانة والمنزلة من سيادة الابن.

وتأتي «ثم» كذلك للتوكيد، نحو قوله تعالى: وما أدراك ما يوم الدين (١٧) ثم ما أدراك ما يوم الدين)

(١) ابن هشام عبد الله يوسف الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب :٢١٤ .

(٢) ينظر: الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو، تفسير الكشاف، ١١٣/٤-١١٤ .

[الانفطار: ١٧- ١٨]؛ حيث دخلت «ثم» على التوكيد اللفظي فزادت في المبالغة فيه. ويتبادر من هذه الآية معنى آخر ل «ثم»، وهو الاستبعاد والتعجيز؛ أي لا يمكنك يا محمد أنت وغيرك من البشر أن تدركوا كنه يوم الدين مهما فعلتم، إلا ما نخبركم به عن أوصافه مما هو غائب عنكم.

٣- حروف النفي: ما يهمنا في بحثنا هذا من حروف النفي أربعة أحرف؛ وهي: «إن، ما، لن، لا». «ما»: تنفي الجمل الاسمية والفعلية؛ فإذا دخلت على الجملة الاسمية أعملها الحجازيون والتهاميون والنجديون عمل «ليس» بشروطها المعروفة، نحو قوله تعالى: (ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم) [يوسف: ٣١]، وقوله تعالى: (ما هن أمهاتهم) [المجادلة: ٢]. وتنفي الحال عند الإطلاق، فإذا قيدت كانت بحسب القيد؛ كقولنا مثلا :«ما زيد مشغولا» أي: «الآن»، وقولنا: « ما زيد مشغولا غدا»، وقوله تعالى: (وما هم بخارجين من النار) [البقرة: ١٦٧]؛ أي: في الاستقبال. وقد تكون للمضي كقولنا: «ما زيد استعار كتابي بل عمرو»، وقد تكون للحقيقة، غير مقيدة بزمن؛ نحو قوله تعالى: (ما هن أمهاتهم)، وهي أكد من «ليس»؛ لأنها تقع جوابا للقسم، كقولنا: «والله ما هو بمنطلق» بخلاف ليس، وهي أيضا أوسع استعمالا منها، فليس» مختصة بنفي الجمل الاسمية، وأما «ما» فتنفي الجمل الاسمية والفعلية. وإذا نفت الفعل المضارع خلص هذا الفعل عند الجمهور للحال؛ نحو قوله تعالى: (قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول) [هود: ٩١]، وهي تنفي كذلك الفعل الماضي، وقد تكون لنفي الماضي البعيد؛ كقوله تعالى: (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين) [الأنبياء: ١٦]، وتفيد الاستقبال إذا جاءت في جواب الشرط؛ كقوله تعالى: (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل أية ما تبعوا قبلتك) [البقرة: ١٤٥]، وهي أكد في النفي من «لم»؛ لأنها تستعمل في نفي القسم، يقول سيبويه (ت: ١٨٠ه):« وإذا قال: «لقد فعل»، فإن نفيه «ما فعل»؛ لأنه كأنه قال: «والله لقد فعل»، فقال: «والله ما فعل»».[1] «إن»: تدخل على الجملة الاسمية فتنفي الحال؛ كقوله تعالى: (إن الكافرون إلا في غرور) [الملك: ٢٠]، وتدخل على الجملة الفعلية؛ نحو قوله تعالى: (إن أردنا إلا الحسنى) [التوبة: ١٠٧]، وقد تكون للمضي؛ نحو قوله تعالى في عيسى - عليه الصلاة والسلام -: (إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل) [الزخرف: ٥٩]، كما تفيد كذلك الاستمرار؛ نحو قوله تعالى: (وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) [الإسراء: ٤٤]، وإذا وليها الفعل المضارع فإنها غالبا ما تكون لنفي الحال، نحو قوله تعالى: (إن تتبعون إلا الظن) [الأنعام: ١٤٨]، وقد تأتي لغير الحال، نحو قوله تعالى: (بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا) [فاطر:٤٠]؛ فهي هنا للاستمرار. وإذا وليها الفعل الماضي فإنها تكون في الغالب لنفي الماضي القريب من الحال؛ كقوله تعالى: (إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا) [النساء: ٦٢].

(١) ينظر: سيبويه، كتاب سيبويه، ١١٧/٣ .

«لـن»: حـرف نفـي ونـصـب واسـتـقـبـال يدخل على الفعل المضارع فينفيه نفيا مؤكدا ويخلصه للاستقبال؛ كقوله تعالى: (ولن يتمنوه أبدا ما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين) [البقرة: ٩٥]، وقد تأتي للدعاء مثل «لا»؛ كقول الشاعر:

لـــن تـــزولـــوا كـــذلـكـم ثـــم لازل
تُ لـكـم خـالـد خـلـود الـجـبـال

وقد تأتي للقسم، ولكن ذلك نادر جدا، كقول أبي طالب:|

والله لـن يـصـلـوا إلـيـكـم بجمعهم
حـتـى أوســـد فـــي الـــتـــراب دفـيـنـا

«لا»: ونقصد بما الداخلة على الفعل المضارع دون سواها، وهي في هذه الحالة تؤدي عدة معان؛ فقد تكون للحال كقوله تعالى: (ما لكم لا تنطقون) [الصافات: ٩٢]، وقد تفيد الاستقبال؛ نحو قوله تعالى: (ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) [البقرة: ١٧٤]، وقد تأتي للاستمرار، نحو قوله تعالى: لا تأخذه سنة ولا نوم) [البقرة: ٢٥٥]، كما تأتي جوابا للقسم، نحو قوله تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) [النساء: ٦٥] .

الخاتمة

خلاصة ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات في هذا البحث ما يلي:

١- يلعب السياق دورا محوريا في تحديد معنى الحرف في القرآن الكريم.

٢- قد تتناوب الحروف فيما بينها لتأدية بعض المعاني المشتركة إذا اقتضى السياق ذلك.

٣- انقسم النحاة تجاه حروف المعاني فريقين؛ فريق مضيق يرى أن ليس للحرف إلا معنى أصلي واحد، وفريق موسع يرى أن الحرف يمكن له أن يؤدي عدة معان إذا اقتضى السياق ذلك.

٤- بعد الدراسة التطبيقية التي قمنا بها في القرآن الكريم نرجح رأي الفريق الثاني؛ فالحرف يمكن له أن يؤدي عدة معان إذا استدعى السياق ذلك، وإن كانت هذه المعاني ترجع في حقيقتها إلى معنى أصلي واحد.

٥- نوصي الباحثين المختصين في الدراسات اللغوية أن يولوا عناية خاصة بموضوع حروف المعاني؛ لما له من أثر خطير في توجيه معاني النصوص، لاسيما النص القرآني الكريم .

***

المصادر

- القران الكريم .
- المرادي أبو محمد بدر الدين، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة - الأستاذ محمد نلتم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٣م - ١٩٩٢، ص: ١٩.
- اين منظور محمد بن كرم، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هشام الشاذلي، دار المعارف: القاهرة، ١٤٠١ - ١٩٨١، ط: ١، ج: ٢، ص: ٨٣٨، ٨٣٩. - ينظر: الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تح: نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٢٦-٢٠٠٥، ط: ٨، ص:٧٩٩
- أبو القاسم الزجاجي عبد الرحمان بن إسحاق، الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك، دار النفائس: بيروت، ١٤٠٦ - ١٩٨٦، ط: ٥، ص:.٥٤
- الفاكهي جمال الدين بن عبد الله، شرح الحدود النحوية، تح: صالح العائد، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، (د، ط - د، ت)، ص:.٢٧١
- عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف: القاهرة، ١٣٩٤ - ١٩٧٤، (د، ولى)، ص: ٦٨. - مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، دار ابن الجوزي، القاهرة، ١٤٢٩- ٢٠٠٩، ل:١، ص: ٦١٠.
- أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ص: ٥٤.
- عبد الله حسن عبد الله، حروف المعاني بين الأداء اللغوي والوظيفة النحوية، مخطوط رسالة دكتوراه في اللغة العربية، جامعة جنوب إفريقيا، نوفمبر ٢٠١٠، ص: ٢٤ ١٠ . ينظر: المرجع تقسه، ص: ٢٩
- أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري، أسرار العربية، دار الأرقم بن أبي الأرقم: بيروت، ط: ١، ١٤٢٠- ١٩٩٩، ص: ٤٠.
- أبو العباس محمد بن يزيد، المبرد، المقتضب، تح: عبد الخالق عضيمة عالم الكتب: بيروت، (د، ول. د، ث)، ج ٤، ص: ١٣٩.
- فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار الفكر: عمان - الأردن، ل: ١، ١٤٢٠ - ٢٠٠٠، ج: ٣، ص: ١٧.
- سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي: القاهرة، ل: ٣، ١٤٠٨ - ١٩٨٨م، ج ٤، ص:٢١٧
- الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو، تفسير الكشاف، دار مصطفى البابي الحلبي، ١٣٦٧م-١٩٤٧، ج:١، ص: ٣٨٨
- مالك بن أنس الأصبحي: الموطأ تح: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي - الإمارات، وط:١، ١٤٢٥م - ٢٠٠٥م، ج: ٣، ص: ٢٠٢٦٦
- ابن يعيش أبو البقاء موفق الدين الموصلي، شرح المفصل، دار الكتب العلمية: بيروت، ج: ١، ١٤٢٢م - ٢٠٠١م، ج ٤، ص: ٤٦١.
- الخطيب الإسكافي أبو عبد الله محمد بن

عبد الله الأصبهاني، درة التنزيل وغرة التأويل، تح: محمد مصطفى آيدين، منشورات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، على:١، ١٤٢٢ - ٢٠٠٢م، ج:١، ص:٢٣٠.

- ابن هشام عبد الله بن يوسف الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر: دمشق، ط: كا ١٤٠٥ - ١٩٨٥، ص: ٢١٤

- ابن ام قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، مطابع دار الكتب، الموصل- العراق، طبعة أولى بدون سنة طبع.

- أبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي، اللامات في اللغة، دار الفكر، دمشق، طبعة ثانية ١٩٨٥م.

- أبو البقاء عبدالله بن الحسين العبكري، اللباب علل البناء الاعراب، دار الفكر، بيروت، طبعة أولى ١٩٩٥م.

- أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، المفصل في صنعة الاعراب، دار ومكتبة الهلال،بيروت، طبعة أولى ١٩٩٣م.

- أبي القاسم عبدالرحمن بن اسحاق الزجاجي، حروف المعاني والصفات، مؤسسة الرسالة، بيروت، طبعة أولى ١٩٨٤م.

- جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الانصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، دار الجيل، بيروت، طبعة خامسة، ١٩٧٩م.

- الخليل ابن أحمد الفراهيدي، الجمل في النحو، دار الجيل، بيروت، طبعة خامسة، ١٩٩٥

- عبد الرحمن أبي الوفاء، أسرار العربية، دار الجيل، بيروت، طبعة أولى ١٩٩٥م.

- جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الانصاري، أوضح المسالك ألى ألفية ابن مالك، دار الجيل، بيروت، طبعة خامسة ١٩٧٩م.

- أبي الفتح عثمان بن جني، اللمع في العربية، دار الكتب الثقافية، الكويت، ١٩٧٢م، بدون طبعة.

- أحمد بن عبدالنور المالقي، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، بدون سنة طبع .

***